

تفسير البغوي

* اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ^ج مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ^ط الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ^ط
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ^ج لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ
يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ^ج نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ ^ق
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

قوله - عز وجل - : (الله نور السماوات والأرض) قال ابن عباس : هادي أهل السماوات

والأرض ، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من الضلالة ينجون . وقال الضحاك : منور

السماوات والأرض ، يقال : نور السماء بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء . وقال مجاهد :

مدبر الأمور في السماوات والأرض وقال أبي بن كعب والحسن وأبو العالية : مزين

السماوات والأرض ، زين السماء بالشمس والقمر والنجوم ، وزين الأرض بالأنبياء

والعلماء والمؤمنين . ويقال : بالنبات والأشجار . وقيل : معناه الأنوار كلها منه ، كما يقال

: فلان رحمة أي منه الرحمة . وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كما قال

القائل : إذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها قوله تعالى : (مثل نوره)

أي : مثل نور الله تعالى في قلب المؤمن ، وهو النور الذي يهتدي به ، كما قال " فهو
على نور من ربه " (الزمر - 22) ، وكان ابن مسعود يقرأ : " مثل نوره في قلب المؤمن "
. وقال سعيد بن جبیر عن ابن عباس : مثل نوره الذي أعطى المؤمن . وقال بعضهم :
الكنية عائدة إلى المؤمن ، أي : مثل نور قلب المؤمن ، وكان أبي يقرأ : " مثل نور من
آمن به " وهو عبد جعل الإيمان والقرآن في صدره . وقال الحسن وزید بن أسلم : أراد
بالنور القرآن . وقال سعيد بن جبیر والضحاك : هو محمد - صلى الله عليه وسلم - . وقيل :
أراد بالنور الطاعة ، سمى طاعة الله نورا وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تفضيلا (كمشكاة
(وهي الكوة التي لا منفذ لها فإن كان لها منفذ فهي كوة . وقيل : المشكاة حبشية . قال
مجاهد : هي القنديل (فيها مصباح) أي : سراج ، أصله من الضوء ، ومنه الصبح ،
ومعناه : كمصباح في مشكاة ، (المصباح في زجاجة) يعني القنديل ، قال الزجاج :
إنما ذكر الزجاج لآن النور وضوء النار فيها أبيض من كل شيء ، وضوءه يزيد في الزجاج ،
ثم وصف الزجاج ، فقال : (الزجاج كأنها كوكب دري) قرأ أبو عمرو والكسائي : "
دريء " بكسر الدال والهمزة ، وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والهمزة ، فمن كسر الدال

فهو فعيل من الدراء ، وهو الدفع ، لأن الكوكب يدفع الشياطين من السماء ، وشبهه بحالة الدفع لأنه يكون في تلك الحالة أضواً وأنور ويقال : هو من درأ الكوكب إذا اندفع منقبضاً فيتضاعف ضوءه في ذلك الوقت . وقيل : " دري " أي : طالع ، يقال : درأ النجم إذا طلع وارتفع . ويقال : درأ علينا فلان أي طلع وظهر ، فأما رفع الدال مع الهمزة كما قرأ حمزة ، قال أكثر النحاة : هو لحن ، لأنه ليس في كلام العرب فعيل بضم الفاء وكسر العين ، قال أبو عبيدة : وأنا أرى لها وجهها وذلك أنها دروء على وزن فعول من درات ، مثل سبوح وقدوس ، وقد استثقلوا كثرة الضمات فردوا بعضها إلى الكسر ، كما قالوا : عتيا وهو فعول من عتوت ، وقرأ الآخرون (دري) بضم الدال وتشديد الياء بلا همز ، أي : شديد الإنارة ، نسب إلى الدر في صفائه وحسنه ، وإن كان الكوكب أكثر ضوءاً من الدر لكنه يفضل الكواكب بضيائه ، كما يفضل الدر ، سائر الحب . وقيل : الكوكب الدرّي واحد من الكواكب الخمسة العظام ، وهي زحل والمريخ ، والمشتري ، والزهرة ، وعطارد . وقيل : شبهه بالكوكب ، ولم يشبهه بالشمس والقمر ، لأن الشمس والقمر يلحقهما الخسوف ، والكواكب لا يلحقها الخسوف . (يوقد) قرأ أبو جعفر ، وابن كثير ، وأبو

عمرو ، ويعقوب : " توقد " بالتاء وفتحها وفتح الواو والداو وتشديد القاف على الماضي ،
يعني المصباح ، أي : اتقد ، يقال توقدت النار أي : اتقدت . وقرأ أهل الكوفة غير حفص
" توقد " بالتاء وضمها وفتح القاف خفيفا ، يعني الزجاجاة أي : نار الزجاجاة لأن الزجاجاة
لا توقد ، وقرأ الآخرون بالياء وضمها خفيفا يعني المصباح ، (من شجرة مباركة زيتونة)
أي : من زيت شجرة مباركة ، فحذف المضاف بدليل قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء)
وأراد بالشجرة المباركة : الزيتون وهي كثيرة البركة ، وفيها منافع كثيرة ، لأن الزيت
يسرج به ، وهو أضوأ وأصفى الأدهان ، وهو إدام وفاكهة ، ولا يحتاج في استخراجه إلى
إعصار بل كل أحد يستخرجه ، وجاء في الحديث : " أنه مصحة من الباسور " ، وهي
شجرة تورق من أعلاها إلى أسفلها . أخبرنا أبو الحسن السرخسي ، أخبرنا زاهر بن أحمد ،
أخبرنا أبو الحسن القاسم بن بكر الطيالسي ، أخبرنا أبو أمية الطوسي ، أخبرنا قبيصة بن
عقبة ، أخبرنا سفيان الثوري ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عطاء الذي كان بالشام ،
وليس بابن أبي رباح ، عن أسد بن ثابت وأبي أسلم الأنصاري قال : قال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - : " كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة " . قوله تعالى : ()

لا شرقية ولا غربية) أي : ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت ، ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة إذا طلعت ، بل هي ضاحية الشمس طول النهار ، تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها ، فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين ، فيكون زيتها أضواً ، وهذا كما يقال : فلان ليس بأسود ولا بأبيض ، يريد ليس بأسود خالص ولا بأبيض خالص ، بل اجتمع فيه كل واحد منهما ، وهذا الرمان ليس بحلو ولا حامض ، أي اجتمعت فيه الحلاوة والحموضة ، هذا قول ابن عباس في رواية عكرمة والكلبي ، والأكثرين . وقال السدي وجماعة : معناه أنها ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل ، فهي لا تضرها شمس ولا ظل . وقيل : معناه أنها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ، ولا في غرب يضرها البرد . وقيل : معناه هي شامية لأن الشام لا شرقي ولا غربي . وقال الحسن : ليست هذه من أشجار الدنيا ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله لنوره . (يكاد زيتها) دهنها ، (يضيء) من صفائه (ولو لم تمسه نار) أي : قبل أن تصيبه النار ، (نور على نور) يعني : نور المصباح على نور الزجاجاة . واختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل ، فقال بعضهم :

وقع هذا التمثيل لنور محمد - صلى الله عليه وسلم - ، قال ابن عباس لكعب الأحمري :
أخبرني عن قوله تعالى : (مثل نوره كمشكاة) فقال كعب : هذا مثل ضربه الله لنبيه -
صلى الله عليه وسلم - ، فالمشكاة صدره ، والزجاجة قلبه ، والمصباح فيه النبوة ، توقد من
شجرة مباركة هي شجرة النبوة ، يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي
كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسه نار . وروى سالم عن ابن عمر في هذه الآية قال
: المشكاة : جوف محمد ، والزجاجة : قلبه ، والمصباح : النور الذي جعله الله فيه ، لا
شرقية ولا غربية : ولا يهوديا ولا نصرانيا ، توقد من شجرة مباركة : إبراهيم ، نور على نور
، قلب إبراهيم ، ونور : قلب محمد - صلى الله عليه وسلم - . وقال محمد بن كعب
القرظي : " المشكاة " إبراهيم ، و " الزجاجة " : إسماعيل و " المصباح " : محمد صلوات
الله عليهم أجمعين سماه الله مصباحا كما سماه سراجا فقال تعالى : " وسراجا منيرا ")
الأحزاب - 46) ، " توقد من شجرة مباركة " وهي إبراهيم ، سماه مباركة لأن أكثر
الأنبياء من صلبه ، " لا شرقية ولا غربية " يعني : إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن
كان حنيفا مسلما لأن اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى تصلي قبل المشرق يكاد زيتها

يضئء ولو لم تمسه نار ، تكاد محاسن محمد - صلى الله عليه وسلم - تظهر للناس قبل أن

يوحى إليه " نور على نور " : نبي من نسل نبي ، نور محمد على نور إبراهيم . وقال بعضهم :

وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن . روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال : هذا مثل

المؤمن ، فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره ، والمصباح ما جعل الله فيه من الإيمان ،

والقرآن في قلبه يوقد من شجرة مباركة وهي الإخلاص لله وحده ، فمثله كمثل الشجرة

التي التف بها الشجر خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس لا إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك

المؤمن ، قد احترس من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال إن أعطي شكر وإن

ابتلي صبر ، وإن حكم عدل ، وإن قال صدق ، يكاد زيتها يضيء أي : يكاد قلب المؤمن

يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته إياه نور على نور . قال أبي فهو يتقلب في خمسة أنوار

: قوله نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره إلى النور يوم القيامة قال

ابن عباس : هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن

تمسه النار ، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوءه ، كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى

قبل أن يأتيه العلم ، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور قال الكلبي :

قوله (نور على نور) يعني إيمان المؤمن وعمله . وقال السدي : نور الإيمان ونور القرآن .

وقال الحسن وابن زيد هذا مثل القرآن ، فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح

يهتدى بالقرآن ، والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة

الوحي ، " يكاد زيتها يضيء " تكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ ، نور على نور : يعني :

القرآن نور من الله - عز وجل - لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول

القرآن ، فازداد بذلك نورا على نور قوله - عز وجل - : (يهدي الله لنوره من يشاء) قال

ابن عباس رضي الله عنهما : لدين الإسلام ، وهو نور البصيرة ، وقيل : القرآن (ويضرب

الله الأمثال للناس) يبين الله الأشياء للناس تقريبا للأفهام وتسهيلا لسبل الإدراك ، (

والله بكل شيء عليم)